بسم الله الرحمن الرحيم - مكة المباركة - ١٤٢٦/٤/١٨

(ك. سنوك هرخرونيه (عبد الغفار) وكتابه الفريد عن مكة)

أول كتاب: (مكة) لهذا المستشرق الهولندي بعد عدد سنين من طباعته عام ١٤١١ ثم ١٤١٩، واختار من تولى صياغة الترجمة والتعليق عليه أبا بهما الله تسمية الكتاب: (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) على عادة الغربيين الإيجاز المفيد وعادة العرب الإطناب بما يزيد عن الحاجة، وحرصا على إضفاء الصوفية ومن تبعهم مكة بالمكرمة والمدينة بالمنورة حيثما ذكرتا في الكتاب، ولم يصفها الله تعالى ولا نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وخير وصف يملك ما وصف الله بيته المسجد الحرام بقوله: ﴿مباركا﴾، وخير وصف للمدينة: (النبوية) نسبة لمن أعلى الله شأنه برحاً ومقاماً حتى لقي الله، ولكن الأستاذين أجادا وأفادا فرحمهما الله.

وُلِدَ سنوك (عبد الغفار) أول النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ومات في منتصف العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري (تقريباً)، وبعد أن أنهى دراسته في جامعة ليدن بهولندا بدرجة دكتوراه (تقدم له وحصل عليه بدراسة عما سُمّي: احتفالات مكة) بما يرغب في زيادة معرفته بمكة وأهلها فقضى سنة (نصفاً) في جدة ونصفاً في مكة ثم أُخرج من مكة دون إبداء السبب؛ فاختلف في سبب إخراجه فقيل: إنه بسبب تهامٍ بمحاولة نقل حجر أثري إلى ألمانيا عُثِرَ عليه في تيماء، وقيل بسبب من حاول نقله إلى فرنسا، وقيل: بل لعله كُشِفَ هدف آخر لقدومه إلى مكة وجدة، والمرجع الظن والله أعلم من الحق شيئاً.

بعد خروجه من مكة لبث مدة قصيرة في جدة ثم سافر إلى جاوه، فعمل مستشاراً للدولة الهولندية (١٧) سنة أمضاها بما اختص للمنطقة، ثم عاد إلى هولندا وانصرف للعمل الأكاديمي في ليدن نحو (٢٠) سنة حتى مات.

ويجدر بالباحث في سيرته أن يعلم:

١) أنه قبل إسلامه كان يصف نفسه بأنه لا ديني، فلا أساس لاتهامه بالتبشير.

٢) أنه أعلن إسلامه أمام قاضي جدة وصندوبي حاكم مكة العثماني.

٢) أنه حذّر الحكومة الرسولندية من ايذاء المسلمين في مستعمراتهم بسبب تديّنهم.
٤) أنه ردّ على كافة المستشرقين سوء فهمهم للإسلام.
٥) أنه لم يسبقه ولم يلحقه أوروبيّ ولا عربيّ مثله في دقّة وعمق محاولته التوثيق للحياة السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة في مكة المباركة وزار علمها (عبدالله فلبي) في مدّة الاقامة وقصّر عنه في التوثيق والتحقيق عن مكة.

ب - ويجدر بالباحث في سيرة (سنوك) أن يعلم:
١) أن لقدومه إلى جدّة فمكة سنة ١٨٨٤م وإقامته في جاوة للعمل الحكومي (١٧) سنة، ثم عودته للعمل الأكاديمي (٣٠) سنة في هولندا حتى مماته؛ أن لكلّ ذلك علاقة بعمله الأكاديمي في جامعة ليدن - هولندا.
٤) أنّ فيما رُوي عنه أن القنصل الرسولندي في جدّة هو أوّل من دعا بعض طلاب العلم والعلماء طنا قشة (سنوك) عن رأيه في الإسلام وأنهم أعجبوا بما سمعوه منه فقالوا له: أنت أخ لنا وواحد منّا، وبعد ذلك زيارة قاضي جدّة ومندوبي الحاكم، وإعلان (سنوك) الدخول في دين الإسلام، ثم الانتقال من جدّة إلى مكة بخمسة أشهر ونصف تقريبا.
٢) لم يدّع أحد ممن بحث أمره أنه نقض إعلانه الإسلام (٤٨) سنة حتى مات، ورُجّحت جامعة بين أوراقه شهادة بثباته على الإسلام وأنه فُرّقت محافظة على سُمعته وسُمعة جامعة ليدن برسولندا التي وَرِثَت منزله. ولكن رواية أخرى تدّعي أنه كتب لصديقه (C. Bezold) في ١٨٨٦/٢/١٨ بأنه تظاهر بالإسلام، وأن خطابه محفوظ بمكتبة جامعة (Heidelberg) بألمانيا.
٤) كان يدين للإسلام والمسلمين في الدين، ويشتدّ في كثير جماح ثورة المسلمين في منطقة عملهم على المستعمرين الرسولنديين.

جـ - ولذا ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز الحكم عليه بالكفر دون بيّنة بل بالظنّ والروايات المتناقضة، ولا بسياسة الإدارة المخالفة لمصالح المسلمين الوطنيّة لو صحّت الروايات عن كلّ ذلك.

وكان د. محمد السريانى ود. مصباح مرزا ممن بين من ذكرت أسماؤهم في الحاكم على د. سنول بالإسلام أو الكفر أقرب إلى الشرع والحق والعدل وأنقدهم: د. قاسم السامرائي الذي لم يُعرف بالأهلية لهذا الحاكم علماً وعملاً، وأقل سوءاً: الأستاذ محمد الجاسر (تجاوز الله عنهم جميعاً) الذي انصرف أكثر حياته عن العلم والعمل الشرعي اليقيني إلى البحث التاريخي والجغرافي الظني، وكان جائراً في حكمه عليه.

د- وكان د. سنول (عبد الغفار) خير مستشرق قاده البحث إلى جزيرة العرب سواء من أعلن إسلامه منهم أو من رفض ادعاء الإسلام رغم تهديده بالقتل مثل: دوتي (Doughty)، في دقة وعمق بحثه وقرب نتيجة بحثه للحق والعدل.

أولاً: اخترت محاذكره عن الحياة السياسية في مكة مايلي:

1- قال: (ظهر في شرق جزيرة العرب مصلح [مجدد] للإسلام، وساند أمراء الدرعية ثم آمنت بدعوته كل مراكز الجزيرة العربية.

(وكان هذا المصلح ينوي أن يعيد الحياة للإسلام في كل مكان يستطيع الوصول إليه)، (وقدم إلى مكة (٣٠) وكتاباً للدعوة إلى التوحيد الخالص عام ١١٦٣هـ وقد كتبوا معاملة غير لائقة بحسب ما يروونه مؤرخو مكة، وكانوا يعيدون الكرة كلما تسلم حاكم جديد السلطة في مكة، وعرض عليهم الشريف سرور السماح لأهل نجد بالحج مقابل دفع أموال طائلة أكثر مما يدفعه الآخرون فرفضوا، ثم كرروا طلبهم السماح لهم بأداء فريضة الحج كلما تسلم الحكم في مكة شريف جديد غير أن النتيجة دائماً تكون بالرفض، وفي عهد الشريف غالب تقدى الأمر فرفض طلبهم إلى قمالهم).

(لقد استطاع محمد بن عبد الوهاب بجدارة تامة - أن يبرز الإسلام بالصورة الصافية النقية كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذه الصورة لم تكن واضحة لكثير من علماء عصره لتركهم منابع الإسلام الأولى وهي القرآن والأحاديث النبوية واعتمادهم على اجتهادات المتأخرين المبنية على التطورات المستمرة لمختلف المذاهب عبر القرون مما حال بين المسلم ومنابع التشريع الأولى؛ فأصبح المسلمون يهتمون بالفضول الترتيلية

للقرآن والحديث دون البحث عن المعاني المستفادة منهما)، (وكانت نجد مناسبةً للدعوة التي قام بها الأزد وحدها لم تتفشّ في لفترة وعاداتها كثيراً عما كانت عليه في الأصل عند ظهور الإسلام)، (وقد حرّم ابن عبد الوهاب وسائل الترف الحادثة مثل الموسيقى ولبس الحرير واستعمال الذهب والفضة والحلي للرجال وغيرها من العادات السيئة المنتشرة في بلاد المسلمين).

ب- (وأهم ما أثار الغيرة الدينية لدى محمد بن عبد الوهاب: الخطر الذي يتسلل إلى عقيدة التوحيد عن طريق تقديس الأولياء فكان [الدعاء] والاستعانة والاستغاثة بالأولياء [الأموات أو الغائبين] عند الأكثرين الجسر الذي يعبرون منه إلى الشرك وعبادة أكثر من إله، وكان تساهل العلماء في إنكار ذلك من أهم أسباب زيادة هذه المنكرات وانتشارها).

(إنّ رسل الله وأولياءه لا يستطيعون بعد موتهم أن ينفعوا أو يضرّوا أحداً، فالأمر لله وحده، وتقديس المقامات والأضرحة هي من عمل الشيطان وكانت المدينة تدنّس بتقديس قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور أصحابه الكرام، وتنقية الإسلام تستلزم القضاء على مثل هذه العادات الشركية... لقد التزم محمد بن عبد الوهاب بالإصلاح وجعل هدف دعوته وكان رائده الإخلاص في القول والعمل، وسخّر لذلك لسانه وقلمه، وجعل مدرسة الإمام أحمد ابن حنبل أساساً لدعوته الهدى ونهج آل سعود).

ج- (وكان تقدير أهل مكة والمدينة لنجاح هذه الدعوة السلفية أقلّ من غيرهم لأن ما يرتبط لديهم هذه الدعوة بالفائدة كان من بين متطلبات الحياة في المدينتين المقدستين مكة والمدينة ٨ فالقبور والأضرحة والمزارات كانت تجلب المال والجاه للأدلاء والسدنة... وكان وجود قوة أخرى في جزيرة العرب تعمل على وحدة أجزائها كافياً لإثارة التنافس بينها وبين حكام مكة فكيف إذا اقترن وجود القوة المنافسة بحركة إصلاح دينية لا تقبل أي تحديد لمجال نفوذها).

(بدأ الشريف غالب بتثبيت سيادته بالقضاء على إخوانه وغيرهم

من الأشراف الطارشين له، ثم قضى ١٦ عاماً في محاربة خصومه الجدد [الدولة السعودية] وبلغ عدد غزواته ٥٦، غير أن الهجوم الضار كان عنيفاً لا يكل، يقويه الهدف الديني الذي يؤمن به خصوم [السعوديون].
ولم يكن البدو في المناطق المتنازع عليها [تربة والخرمة وبيشة ونحوها] ملومين لاستجابتهم للدعوة السلفية، فلم يقدم لهم حكام مكة غير الحملات التأديبية عقاباً لهم في مخالفة على عكس ما جلبته لهم الحركة الإصلاحية من طمأنينة وأمن في ظل دولة قوية، ومن احترام وتقدير لهم، ومن تعليمهم وإرشادهم بل تجديد إسلامهم بعد جهالة شديدة أشبهت العودة إلى الكفر والضلال.
(لم يجد الشريف غالب بداً من عقد اتفاق مع أمير الدرعية بعدم تدخله في شؤون القبائل المحيطة بمكة في مقابل السماح له ولأتباعه بأداء الحج بما يشبه لهدنة الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش).
(ولكن القبائل المحيطة بمكة تبنت الدعوة السلفية ونشطت في الدعوة إليها، فاحتل بعضهم ميناء حلي وكان لهو الحد الجنوبي لإمارة مكة = فطردهم غالب منه وعاقب أهل حلي بالإرجاء، فبيع أولادهم عبيداً لأهل مكة، وكأن آباءهم كانوا كفاراً)، (ثم بدا وكأن الجنوب بأسره دان بالولاء لأمراء آل سعود، وعندما كاتب الشريف غالب أمير الدرعية تبرأ من أفعال المتصرفات المنفصلة لبعض زعماء القبائل، ولكنه رفض التخلي عن دعوة الجميع إلى التوحيد.
فأرسل الشريف غالب وفداً إلى الدرعية لتجديد الاتفاق وفيهم صهره عثمان المضايفي فانحاز الأخير إلى أمراء الدرعية وكان من أهم الأسباب: ميله للدعوة السلفية، وفي طريق العودة انفصل عثمان برحاله عن الوفد واحتلوا العبيلاء ونشطوا للقضاء على قوة غالب، فراجع الطائف مع أمير بيشة وأخضعت محاولة غالب استعادة الطائف وصار عثمان أميراً لها وأرسل إلى الدرعية بخبر الفتح فتقدم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد حتى وصل على بعد ٣ أيام من مكة، فانسحب غالب إلى جدة وقاد

أخوه عبد المعين الحجاج لتسليم مكة).

٨- (في أول ١٢٤٤هـ بايع الشريف عبد المعين وعلماء مكة الأمير سعود بن عبد العزيز، وكان لسيف الفضل في العودة إلى منابع الدين الأصيل، فحطّمت وأزيلت كل القباب المبنيّة على المزارات والقبور، وأحرقت غلايين التبغ وآلات الموسيقى، ومنعت البدع القولية والعملية في الدعاء والصلاة وكان على سكان مكة أن يصحّوا كثيرا من أمور دينهم ويتعلموا من أعدائهم).

(ظن الأمير سعود بأن نواة التوحيد التي غرسها في مكة ستؤتي ثمارها دون إجبار خارجي، ثم تبيّن له خطأ ظنّه فبعد شهرين عاد غالب إلى مكة واستأنف منذ قتال صهره المضايفي وأمير بيشه، ثم استعاد ميناء الليث ولكن اضطراب الأمن قطع واردات مكة، وعدد كبير من الصيادلة وأرباب الحرف والصناعة تركوا غالبا وانضموا إلى معسكر عدوّه).

٩- (في شوال ١٢٢٣هـ أمر الأمير سعود بمحاصرة مكة بعد أن نقض أهلها العهد كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما نقضت قريش عهدها الذي أبرمته في الحديبية، وفي ذي الحجة ١٢٢٣هـ طلب الشريف غالب التفاوض مع القوة المحاصرة وكان عليه هذه المرة أن يذعن لسيادة المنهج السلفي وسيادة الدولة السلفية السعودية التي عاملت أهل مكة بالتي هي أحسن كما فعل الرسول الكريم).

١٠- (عدّ السلطان العثماني ظهور الدعوة ومنع المحمل تحدّيا لسلطته فانتدب نائبه في مصر محمد علي باشا للقضاء على الدولة السلفية ففرغ محمد علي للتنفيذ بعد قضائه على المماليك، وبدأت الحملة الأولى بقيادة طوسون بن محمد علي في رمضان ١٢٢٦هـ فأخفقت، ثم نجحت الحملة الثانية بقيادته ١٢٢٧هـ في احتلال مكة، وجاء محمد علي إلى مكة ١٢٢٨هـ فاستقبله الشريف غالب بحفاوة وأعان طوسون على فتح الطائف وأشرعت المضايف حيث قيل في استانبول رحم الله، وجاءت العقوبة عاجلة فقبض طوسون على غالب ونفاه إلى سالونيك حتى مات).

(وكان المذهب الحنبلي السلفي منتشرا في وسط جزيرة العرب، أما في

مكّة فأتباعهم قليلون، وأمّا في المدينة فكان الرّأي العامّ متعصّباً ضدّ الحركة الإصلاحيّة) ص٢٥٣-٢٥٧ [وانتهت الحرب بتدمير الدرعيّة وقتل أو نفي علمائها وأمرائها].

ثانياً: الحياة الاجتماعيّة في مكّة:

الجزء الثاني من مؤلّف د. سنوك مخصّص للحياة الاجتماعيّة في مكّة ولا سيّما منه ما له علاقة بالدّين وجهوداً أو مجهوداً، يقول ج٢ ص٣٥٨-٥٦٦:

أ- (في ١ صفر تبدأ الاحتفالات في مكّة بذكرى ميمونة زوجة الرسول الكريم، ولأنّه لا يُعرف سبب لربطها بـ ١ صفر فيمكن عزوها إلى أصول جاهليّة).

قلت: لم يوافق المعلّق على عزوها إلى أصول جاهليّة، وعزاها إلى العهد الفاطمي، وحتى (لا يحرّم الضيف ولا تفنى الضيم) رأيت التوكيد على أنّ وثنيّة الحفلات والمزارات والمشاهد ظهرت أوّلاً في قوم نوح عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام لما رواه البخاري في صحيحه من تفسير ابن عباس رضي الله عنهم جميعاً قول الله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾، قال ابن عباس: صارت أوثان قوم نوح في العرب: وَدّ لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، ويعوق لهمدان ونسر لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا ثم عُبدت. انظر نصّ الأثر برقم ٤٩٢٠ إن شئت، وعلى هذا فالأصحّ عزو الشرك الجديد إلى القديم، ونشر الفاطميّون هذه الوثنيّة في المغرب ومصر والشام ولكن شارك في نشرها السلاجقة وقيل سبقهم هارون الرّشيد ببناء وثن في النجف باسم عليّ رضي الله عنه ولا يُعرف من أنكر ذلك من الولاة بعد المتوكل رحمه الله، ولا يُعرف دولة قامت لإزالة غير السعوديّة. وقيل: لحق الفاطميّين في هذه الموبقة صلاح الدّين الأيّوبي فبنى ما صار وثناً على قبر باسم الشا في رحمه الله، أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٨٥ ط. المصريّة.

فسنوك على حقّ في عزو الوثنيّة المطلق على حقّ في سبب لانتشارها.

قال سنوك: (وفي ١٤ صفر يحتفل بذكرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما).

(وفي مكة يتشاءم كثير من الناس من يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر).

ب - (وفي ١٢ ربيع الأول قبض الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ولكن هذا التاريخ صار يحتفل به على أنه يوم ميلاد الرسول الكريم فتطلق المدافع ظهر اليوم الحادي عشر إعلاناً لهذه المناسبة، ومع صلاة المغرب ليلة ١٢ يقصد أهل مكة إلى المسجد الحرام، ويأتي النساء بملابس العيد والحلي والزينة ومعهن كل أطفالهن بملابسهم الملونة المطرزة بالذهب والفضة.

وبعد انتهاء صلاة المغرب يضاء الحرم بمصابيح الزيت أكثر من سائر الأيام ويبقى المصلون نصف ساعة يرتجون بعضهم بعضاً، وقريباً من باب دريبة يجلس إمام الحرم على منصة خشبية ظهره إلى الكعبة ووجهه إلى الناس فيتلوا عليهم قصة المولد، وفي الصدر يجلس شريف مكة والوالي التركي ويطلق الناس على يومي ١٢ ربيع الأول و١٧ رجب اسم الأعياد تشبيهاً لهما بعيدي الفطر والأضحى، وبعد الاستماع إلى قصة المولد يمشي رجال الحكومة ومعهم خدم الحرم بالمصابيح يقدمهم كبير المؤذنين وقلما المسجد ينشدان المدائح النبوية، ويدخل الحشد المولد فيقرؤون سيرة الرسول الكريم).

(ويقوم المتصوفة بترديد قصائد البردة والهمزية وغيرهما من المدائح).

(وفي منتصف جمادى ٢ يبدأ الاحتفال بالذكرى السنوية للشيخ محمود بن إبراهيم الأدهم، وهي مخصصة للنساء وتستمر ثلاثة أيام)، ويستفيد البدو والقاطنون في منطقة من تأجير بيوتهم لزائرات الضريح؛ بيت لكل ٢) (مرأة تقوم صاحبة البيت بالضيافة أول يوم مقابل بعض الهدايا وتتولى الزائرات الضيافة بعد ذلك).

ج - قلت: ظن الأستاذ محمد الجاسر تجاوز الله عنه أن هذا لا يُعقل، وكل الشرك لا يحكمه العقل، ولكن الناس منذ قوم نوح إلى اليوم ومنهم أكثر المنتمين للإسلام والسنة - أشركوا بدعاء المخلوق الميت أو الغائب مع الخالق الحي الذي لا يموت، وأرسل الله كل رسله في كل زمان ومكان وحالهم بأن لا يُدعى إلا الله وحده، وظن الأستاذ محمد الذي انصرف عن يقين العالم الشرعي

إلى ظنّ التاريخ والجغرافيا لا يطاول شهادة (الأستاذ د. سنوك).
لنعد الى رواية سنوك لما شهده وحققه بطريقة لم يُسبق ولم يُلحق بمثلها:
(في ١٧ من جمادى الآخرة يُحتفل بذكرى الشيخ المهدلي قريباً من مدخل مِنَى
يؤكل الطعام ويقوم المستفيدون من بركة القصائد ويقيم أهل مكة لهم
لمدة يومين أو ثلاثة).

د- قال د. سنوك: (ويحتفل بالولي الهندي جوهر عند ضريح بجبل هندي.
وقريباً من باب العمرة يوجد ضريح المجنون أو المجذوب ويدعى المجوبي
ولهذا الضريح صوان الصبابيح لا يُعرف أسماء أصحابها ولكن الناس
لا يَجْحدون لهؤلاء الموتى من ثواب قراءة الفاتحة).

هـ- وكان تعليق الأستاذين د. البسّرياني ود. مرزا مطابقاً للشرع والبقاع
ص ٣٦٩ و ٣٧٣ و ٣٧٨ و ٣٨٠ وخيراً من ظنّ الأستاذ الحاسر. لذا نرجو القارئ إلى أن الحيّ
لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرّاً، وحذّر من البدع وبيّنا أنّ وجود المزارات والأضرحة
والخرافات سببه الجهل المطبق، وأثنينا على الدولة السعودية التي قضت عليه.

و- قال د. سنوك: (وفي ١١ من كل شهر يتجمّع العديد من الناس على ضريح خديجة
زوج الرسول الكريم، أمّا الثاني عشر فهو مخصص لآمنة أم الرسول.
وفي اليوم الثاني عشر من رجب يجتمع المتصوّفة السنوسية في زاويتهم في سفح
جبل أبي قبيس للاحتفال بالذكرى السنوية لوفاة مؤسس الطريقة،
وعلى طول الطريق بين مكة والمدينة يوجد العديد من الزوايا الخاصة بهذه الطريقة).

والسابع والعشرون من رجب يحتفل فيه بأداء العمرة الرجبية وبالإسراء والمعراج
ويُطلق عنه بطلقات المدافع بعد ظهر يوم ٢٦ من رجب، وعلى الطريق بين مكة
وجدّة توجد شجرة يقدّسها الناس في المنطقة وتوضع عليها الخرق الملوّنة،
ومعلوم أنّ عبادة الأشجار وتقديسها عادة جاهلية قديمة في جزيرة العرب،
وعلى الرغم أن الرسول الكريم لعن اليهود والنصارى لاتخاذهم قبور أنبيائهم
مساجد فإن [تقديس] الأضرحة والقبور انتشرت كثيراً بين المسلمين،

بل إن قبره صار هدفاً لهذا النوع من البدع).
(وباستثناء البقاع التي تقع تحت تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فإن البدع والضلالات قد شوهت مفهوم العبادة بتقديس وعبادة [دعاء] الأولياء أصحاب القبور).
(وفي ١٥ شعبان، وبالرغم من الاعتقاد بأن أعمال الناس مكتوبة في اللوح المحفوظ منذ الأزل - يصوم الناس هذا اليوم ويقومون ليلته ليمحو الله خطاياهم).
(وفي المسجد الحرام يصلي المسلم الفريضة خلف إمام مذهبه مع أن الإسلام إلزامي بنزال).

ثالثاً: التعليم في المسجد الحرام:

أ- قال دبسون (عبد الغفار): (حلقات الدروس في المسجد الحرام مفتوحة لجميع المصلين [الذكور] كباراً وصغاراً شيباً وشباناً دارسين ومتفرجين ومتبركين وطرق التدريس المتبعة ثلاث:
١) قراءة أحد الكتب مع أحد شروحه، فيقتصر دور المدرس وجهده على ضبط التلاميذ قراءة النص مع بيان معاني الكلمات الصعبة. وأكثر المدرسين يختارها.
٢) قراءة نص الكتاب وإيراد مختلف آراء العلماء فيه بعيد جمعها من مراجعها المختلفة. ومن يختار هذه الطريقة: الشيخ عبد الله الزواوي لتدريس كتاب الإقناع للشربيني.
٣) جمع المدرس الشروح المختلفة للكتاب واستخراج مصنف مزاوج منه. ويختار هذه الطريقة أقل المدرسين ومنهم: الشيخ بكري شطا في مصنفه: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للمليباري في ٤ مجلدات. ومع أن ما أضافه للكتاب الأصلي لا يتجاوز ١٠٠٪ فقد نال شهرة واسعة).
ب- (تنتهي دروس الصباح قبيل صلاة الظهر وتتوقف الدروس غير دروس قليلة لأحوال خاصة، وبعد الظهر تدرس العلوم المساعدة على فهم العلوم الدينية مثل النحو والصرف والعروض للمبتدئين بخاصة.
وفي العقيدة يدرس الجميع عقيدة الأشاعرة، وكثير من العلماء يعلنون أنهم أشاعرة في العقيدة، شافعية في المذهب الفقهي، قادرية في الطريقة الصوفية.

ويدرس الطالب في علم العقيدة: البعث والحساب والحياة في البرزخ وظهور الدجال والمهدي والمسيح وغير ذلك مما أورده الغزالي في الدرة النفيسة.
وتستأنف الدروس بعد العصر ومظهر للعبادات وتفسير القرآن.
وفي الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء متسع لدرس واحد يحضره التلاميذ على قناديل يحضرونها معهم وأمام المدرس قنديل كبير لأن الإضاءة غير كافية.
وتتوقف الدروس بعد ذلك إلا من بعض دروس في العقيدة والعلوم المساعدة يتولاها طلاب العلم ممن يدرسون في الصباح).
(ويلقى دروس في أيام الجمعة والثلاثاء عن التصوف لكبار طلاب العلم من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وعالم التصوف ظهر بتأثيرات فارسية وفارسية وهندية، ورأى متصوفوه أن العلوم الشرعية الأخرى ما هي إلا مقدمات أولية للوصول إلى مرحلة محبة الخالق، ومن هنا دخل التصوف ضمن المعارف الدينية واحتل أحيانا مركز الصدارة. وبالإضافة إلى الغزالي وجد متصوفة آخرون فضلوا العمل في الظلام واجتهدوا كثيرا في إدخال كثير من الأفكار الباطنية من هؤلاء: ابن عربي والشعراني، ولكن الإحياء للغزالي هو الأساس.
وزاوية سريعة تبين الأهمية الحضرية للطرق الصوفية في مكة فإلى جانب الزاوية السنوسية في شعب أبي قبيس توجد زاوية الطريقة النقشبندية تقدم الطعام والكساء للمريدين المعوزين، وهناك أماكن أخرى للطريقة القادرية والشاذلية وغيرها.
إن حلقات الذكر والاحتفالات الأسبوعية والشهرية وتوزيع النقود يتم في بيت الشيخ، أما اللقاءات اليومية لأفراد الطريقة فتعقد في المسجد الحرام.
إن الطرق الصوفية غالبا تصرف طلاب العلم إلى أمور أبعد ما تكون عن العلم).
ج- قلت: أجاد وأفاد الحلقات أثابهما الله في التحذير من خطر التصوف وفساده ص ٥٢٨ و٥٣٤ و٥٣٦.

رابعاً: من الخرافات في مكة:

أنّ هناك جبل مقدّس يزوره معظم الحجّاج هو جبل أبي قبيس ترجع قدسيّته إلى أيام الجاهلية، وفيه مسجد صغير يشبه لون الصخر فيه الحجر الأسود فتقول الأسطورة أن الحجر الأسود اقتلع منه أو أن الحجر الأسود حُفظ فيه حين الفيضان، ويطلب من الحاجّ تقبيله والصّلاة فيه، وفي زاوية أخرى من هذا المسجد وقف إبراهيم الخليل بعد انتهائه من بناء الكعبة ليؤذن في الناس بالحج، وفي بقعة مفطّاة بالرّمل الأبيض يقف الحجاج للدعاء ثم يصعدون بأحساء أعين الناس عليهم في بلادهم ليتمكنوا من الحج في المستقبل، وفي أعلى الجبل حفرة لحفظ الماء يزورها الناس ظنّاً منهم أنها قبر آدم، ثم قيل لهم: أنها المكان الذي استقرّت عليه سفينة نوح ثم صارت مكاناً للخرافة أنّ من أكل عندها رأس غروف مشوي فلن يصيبه الصّداع طول حياته.

ويروون عن جبل الثّور أنّه حذّر الرسول من عدوّه القريب منه.

وفي هذا الجبل - مقابل بعض المحال - تجرى عملية لتطهير القلب تذكاراً لما ورد في السّيرة من شقّ صدر النبي، فيوضع قليل من التمر على صدر الحاج وفوقه رغيف ثم يُقطع الرغيف نصفين مع التمتمة بسم الله الرحمن الرحيم).

قلت: وفي هذا الكتاب تفاصيل دقيقة عن الحياة السياسية والاجتماعية في مكة لا يتّسع ذكرها، ولا رغبة في صرف وقت البحث عنها.

والحمد لله الذي أزال السيئات عن بلده الحرام وما حوله بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وبسيوف آل سعود وسلامهم أسكنهم الله الفردوس من الجنة جميعاً وأوزعنا شكر نعمته، وختم لنا بالصالحات من الأعمال وبمغفرته ورحمته وإحسانه ٩